لطفي الرمحين ووليد مراد.. يطوعان أدواتهما لبلوغ الفن

وزيرة الثقافة: الصداقة وحبهما للأداة التعبيرية الصعبة الصامتة هي من جمعتهما

وزيرة الثقافة تستمع إلى شرح الفنانين الرمحين ومراد

من المنحوتات المعروضة

| سارة سلامة- تصوير: طارق السعدوني

قدمت غاليري «زوايا» معرضاً مشتركاً لأعمال النحاتين، لطفي الرمحين النحات المتمرس الذي صاغ تجربته منذ زمن طويل وسافر بها إلى العالم؛ لطالما عمل على تطويع الحجر والخشب والمعدن ليحاكي أشكالاً تعبيرية وتجريدية تشبهه أحياناً وربما لا تعبر عنه إلا أن ما يجمعهما هو حب الفن.

والفنان وليد مراد الذي تجمعه علاقة صداقة بلطفي تأثر به وبدأ يشق طريقه من تجارة الحجارة إلى تهذيبها فنياً فلاقت تجربته استحساناً ليسدل عنها الستار في هذا المعرض، كيف لا وهو فنان استطاع بفطرته أن يلون الأحجار ويعطيها أشكالاً طالما ربي عليها وهو ابن مدينة صيدنايا التي تتغنى بحجارتها وتؤثر بأبنائها ويتأثرون بها.

وضمن معرض حمل عنوان «حكايتنا مع الحجر» جمعت أعمال الفنانين التشكيليين الرمحين ومراد، افتتح بحضور وزيرة الثقافة الدكتورة لبانة مشوح ومجموعة من الفنانين التشكيليين والمهتمين بالفن.

وضم المعرض تشكيلة واسعة من نتاج الفنانين اللذين استطاعا أن يطوعا الحجر والخشب والمعدن لإبراز ما في أعماقهما والتعبير عن معنى الجمال والإبداع والفن.

وسيلة تعبير حضارية

وفي تصريح لها بينت وزيرة الثقافة الدكتورة لبانة مشوح أنه: «للأسف ليس لوزارة الثقافة أي فضل في جمع هذين الفنانين، إلا أن الصداقة هي من جمعتهما إضافة إلى حبهما للنحت وللفن الراقي؛ وهذه الأداة التعبيرية الصعبة الراقية والصامتة هي التي جمعتهما، وحقيقة سعادتي اليوم كبيرة؛ لأن هذه المعارض الفنية تدل على نشاط في الحركة الفنية».

وأضافت الوزيرة إن: «هذا المعرض بشكل خاص يجمع بين متناقضين، من جهة الفنان لطفي الرمحين وهو فنان راسخ ومخضرم ومقدام في الحياة الفنية منذ عقود، ومن جهة أخرى الأستاذ وليد مراد رجل عاشق للفن ونحات لكنه كان رافضاً للظهور، وقرر مؤخراً أن أعماله تستحق الظهور وهي فعلاً كذلك، وهي أعمال جميلة تتراوح بين الواقعية والتجريد، مختلفة في أدواتها وفي المادة والأسلوب لكنها تشكل جميعاً وسيلة تعبير حضارية».

العمل الفني هو شخصي

وفي تصريح خاص لـ«الوطن» بين النحات لطفي الرمحين أن «التقنية عملية مهمة لتنفيذ العمل إن كان حجراً أو معدناً أو خشباً، والتقنية بعصرنا هذا تختلف عن تقنية ميكيل أنجيلو أو ليوناردو دافنشي، الآن توجد مكنات تقص الحجر وأدوات كثيرة تساعد على تنفيذ العمل، إن كان حجراً أو معدناً أو خشباً ليس مشكلة، لكن المشكلة أن نخرج من هذه المادة عملاً فنياً؛ وبالنسبة لي موضوع البحث عن الشكل شيء مقدس فلا أحب أن أصنع شيئاً مكرراً، أهتم دائماً بالبحث عن شكل لم يوجد من قبل، فإذا وضعنا بالفراغ قطعة حجر أو خشب، هذه القطعة الخشبية تمتلك لا نهاية من الأشكال ضمن الكتلة، هنا نستطيع أن نكتشف أجمل شكل موجود هذا احتمال ولو اشتغلت ١٠٠ عمل ممكن أن أحب منها عملاً واحداً فقط ويكون قريباً مني».

وأضاف الرمحين إن: «العمل الفني هو شخصي أي إنني لا أعمل للآخرين؛ ولكن أقدم ما أشعر به فقط ورسالتي هي الحب والجمال وليس فقط بالنحت بل في الحياة أيضاً».

وعن الشراكة مع وليد أوضح الرمحين بأن: «قصته مع الحجر طويلة، والآن أحب أن يخرج من موضوع تجارة الحجر إلى الفن، وأتمنى عليه الاستمرار والبحث أكثر وأكثر، وحقيقة من النادر أن يعمل شخص بتجارة الحجر وبعدها يتحول لشيء له علاقة بالنحت الفني».

قدوتي فنياً

ومن جهته قال الفنان وليد مراد إنني: «بدأت أنحت منذ بداية صداقتي مع لطفي، ورغم إقامته في فرنسا إلا أنني تواصلت معه في الفترة الماضية وتواعدنا لنقيم معرضاً مشتركاً، لطفي هو قدوتي فنياً وعلاقتي معه أخوية فكانت بالنسبة لي تجربة جديدة، وحقيقة منذ زمن بعيد وأنا أميل للفن والجمال ولكن لم أشارك بأي معرض، والآن قدمت قدرات فنية أتمنى أن تنال إعجاب الناس، وأشجع كل من لديه هواية على النحت أن يظهرها».

وأضاف مراد إنه: «بفضل تشجيع الأهل ولطفي الذي أعطاني دعماً روحياً ومعنوياً أصبحت نحاتاً، وأول منحوتة صنعتها جئت بها لمشغل لطفي الذي شجعني كثيراً وقدم لي ملاحظاته فعدلتها».

متقاربة مع الواقع

وقال الفنان نبيل السمان: «بالنسبة للأستاذ لطفي فإنه يمثل تجربة مكرسة ولها خصوصية ويبحث بحسه الدائم عن خامات جديدة ليطوعها بعمله بما في ذلك معدن الستانلس وليس فقط الحجر والخشب، لأنه يملك هدفاً وعنده شغف الباحث عن تطويع مادة جديدة للتعبير فيها عن منحوتة فيها أبعاد ثلاثية، ونرى لديه أكثر من نمط الحداثة التي تحمل التجريد، وتكوينات ربما لا تكون متقاربة مع الواقع، هو يشبه نفسه رغم تجربته الطويلة ويستطيع أن يعبر عن نفسه بأشكالها، هي تجربة طويلة عاشها محملة بالحماس، عكس فيها مراحل وتجارب إضافة إلى البحث والشغف وهذا شيء ممتع للحقيقة».

وأفاد السمان: «أما بالنسبة لوليد فنحن نتحدث عن الفنانين الفطريين، هو يعمل بنفس الحب للفن؛ نلاحظ تأثره بلطفي، يعرض تجربته الأولى اليوم بتشجيع من الأصدقاء ويسمع اليوم الآراء والنقاد ويقدم وجهة نظره على الملأ، الدراسة الأكاديمية ليست شرطاً للإبداع فسعيد مخلوف كان في زمانه شيخ النحاتين السوريين وهو لم يدرس أكاديمياً الفن، واستطاع أن يقدم نقلة نوعية في الحداثة بسورية؛ ونلاحظ أن وليد يشتغل على الحجر وفي بعض القطع عمل قوالب خاصة لها، واختير مادة أخرى لكنه لم يشتغل على الخشب ونلاحظ تأثره بلطفي وبكل المطبخ النحتي السوري وما رأيناه هي لوحات منظمة ومخططة ومشغولة بحب».

> الرمحين: البحث عن الشكل شيء مقدس
> مراد: لطفي هو قدوتي فنياً

ترجم بيئته

وبين الفنان موفق مخول إن: «المعرض جميل جداً وأجمل ما فيه التوافق بين الطرفين لطفي الرمحين ووليد مراد، وبالنسبة لمراد ينحت وهو ليس أكاديمياً لكنه أثبت أنه فنان له عشرون عاماً في النحت، وعنده مئات الأعمال لم يكن يعرضها؛ وكان يقول دائماً أنا لست فناناً لكني فقط أحب الحجر، وقمنا بتشجيعه حتى وافق على إقامة المعرض، والأستاذ لطفي أيضاً شجعه فالفن ليس مرتبطاً بالأكاديمي وإنما بحالة الإنسان، وهو ابن صيدنايا ابن صخر وجبل وترجم بيئته إلى عمل فني روحاني جميل فيه الكثير من المصداقية والروحانية، وتوجد روح متشابهة بينه وبين لطفي لنجد أن العلاقات الإنسانية ممكن أن تترجم إلى حالات إبداعية».

مترابط ومتماسك

بينما بين الفنان بشير أن «المعرض مميز بشكل مهم جداً، فالفنانان مخضرمان ولهما تجارب عديدة ولديهما ذهن واسع وأفق بعيد، وعندما أتابع الأعمال أرى التوازن بين الكتلة والفراغ، والعمل النحتي المتكامل المترابط المتماسك بشكل قوي، وهذا المعرض أثبت قوة العمل النحتي بالتشكيل السوري عموماً ويدل ذلك على أنه دائماً هناك تطور بالفن والأفكار الإبداعية والحركة المستمرة».

خط واضح في الفن

وبين عضو مجلس الشعب جميل مراد أن «شهادتي بوالدي وليد ستكون مجروحة، فلديه هواية بالنحت منذ أكثر من عشرين عاماً، هو ابن بيئة جبلية، متأثر بالطبيعة الصخرية وتشكيلاتها الموجودة بالبيئة التي نشأ بها، وهذا كله مع موهبته بدأ يشتغل على نفسه وبدأت هذه الموهبة تظهر أكثر وبدأ يصبح لديه خط واضح في الفن، وبدأ من تشجيع الكثيرين لإقامة معرض حيث كان رافضاً بالبداية بحجة أنه لم يدرس الفن أكاديمياً، لكنه مع تشجيع الفنانين وعلى رأسهم الأستاذ لطفي، اقتنع بأهمية طرح منتجه الفني للمتلقي، على أمل أن يحصل هذا المعرض على إعجاب المتلقين وهذا سيكون بالتأكيد حافزاً كبيراً له ليكمل ويطور تجربته الفنية، ومهم جداً لشخص بلغ العقد السادس من عمره أن يملأ وقت فراغه بهواية مفيدة وذات قيمة فنية عالية يستطيع من خلالها أن يشذب روحه وأن يتواصل مع أشخاص يلتقون مع تجربته».

معقدة وصعبة

ومن جهته كشف الصحفي الياس مراد أن «هناك ملاحظات إيجابية للمعرض أولها بحضور الجمهور الكبير والمتميز، في هذا المعرض ومنذ فترة طويلة لم نشاهد مثل هذا الحضور، كما أن مسألة النحت على الحجر معقدة وصعبة ومتعبة، وأن يضم المعرض هذا العدد الكبير من المنحوتات فهذا شيء إيجابي، وخاصة أن النحات الدكتور الرمحين هو نحات معروف ومشهور وجامعي ومتخصص، أما وليد فهو لم يقدم على إقامة أي معرض سابقاً لأنه كان يعتقد أن ما يقوم به لا يتعدى الهواية في منشأته؛ وأنا أرى أن منحوتاته جميلة جداً وترقى إلى مستوى المنحوتات العالمية، ويمكن أن يطور نفسه أكثر، إذاً، هو نشاط ثقافي جيد وجميل ونتمنى عليهما التوفيق».

أكرم العلبي يقدم كنزاً لصناع الدراما الشامية

ابن كنان الصالحي أحد رواد التراث الشعبي وتوثيقه في مرحلة مهمة

عالم وإمام يدوّن حياة دمشق كما عاشها ورآها وبلغة عصرها

| إسماعيل مروة

العودة إلى البيئة والشام والعادات والتقاليد هل هي هروب من الحاضر؟ هل كان الماضي الذي يتحدثون عنه أفضل حالاً من اليوم؟ قبل ثلاثين عاماً وقع تحت يدي كتاب بعنوان (يوميات شامية) وهو كتاب قديم محقق فسألت نفسي: هل هذا عنوانه الأصلي؟ هل كان الأدباء يكتبون بهذا الأسلوب المرسل؟ ولو كان كذلك فلماذا ينتقد الكاتبون أسلوب ذلك العصر؟

التسمية والأصل

لقد اختار الصديق الفاضل المحقق أكرم حسن العلبي اسماً لغلاف الكتاب من وضعه، وفي الصفحة الأولى من الكتاب نجد العنوان الأصلي:

(الحوادث اليومية من تاريخ أحد عشر وألف ومية) لابن كنان الصالحي الدمشقي المتوفى سنة ١١٥٣ هـ/ ١٧٤٠ م وحسناً فعل لو وضع العنوان الأصلي مع الجديد على الغلاف ليتبين القارئ حقيقة الكتاب وأصله وعصره.

وفي الصفحات الأولى يشير الراحل العلبي إلى أن الكتاب الذي يقدمه هو حلقة متقدمة عن كتاب (البديري الحلاق- حوادث دمشق اليومية) ويغطي الحقبة التي سبقته «أول كتاب تاريخي يصلنا عن دمشق في العصر العثماني، يتحدث عن الحياة اليومية في دمشق، ولكن يزيد من حيث الحجم والمساحة الزمنية التي يغطيها، وطريقة عرضه للأحداث، وتناوله موضوعات لم ترد في تاريخ البديري، مثل حديثه المفصل عن المدارس والمدرسين والقضاة والأشراف، وإسهابه عن الحديث عن منتزهات دمشق وأرباضها، وعن دورها وقصورها وآثارها».

الكاتب وسيرته

إذا كان البديري الحلاق شخصاً عادياً، وقدّم حوادث دمشق اليومية ببساطة، وحسب ثقافته، التي يراها النخبويون عادية وأقل من عادية، ففي كتاب يوميات شامية نقف أمام كاتب معروف ومتنوع العطاءات، ومتعمق في عدد من العلوم «فهو محمد بن عيسى بن محمود بن محمد بن كنان الصالحي الحنفي الخلوتي الدمشقي.. وعند وفاة أبيه صار شيخ الخلوتية في دمشق، وعين مدرساً بالمدرسة المرشدية، وكان على علاقة وثيقة بعلماء دمشق وأعيانها ومدرسيها مثل الشيخ عبد الغني النابلسي» فنحن أمام عالم من العلماء الذين درسوا وتركوا مؤلفات، وجمع بين علوم الفقه واللغة وطرائق الصوفية في الوقت نفسه، وانتسابه إلى العلم والعلماء كان من المفترض أن يجنح به إلى كتابة التاريخ والرجال كما عهدنا من الحديث عن الطبقات والسنوات وما جرى فيها من أحداث عظيمة وجليلة ذات ارتباط وثيق بالطبقة العليا من العلماء والسلطة، ويشير المحقق العلبي إلى هذه المفارقة بقوله: «وعلى الرغم من كثرة أساتذته وتلاميذه والكتب التي درسها أو نسبت إليه، فإن لغته في هذه الحوادث أقرب إلى العالمية منها إلى الفصحى، وهي تختلف اختلافاً تاماً عن لغته في «المروج السندسية» و«المواكب الإسلامية» وغيرها من مؤلفاته»، وذلك واضح بدءاً من العنوان الذي ينحو نحو العامية أكثر من الفصحى (الحوادث اليومية من تاريخ أحد عشر وألف ومية) جامعاً في ذلك أسلوب العصر القائم على السجع، والاقتراب من اللهجة الدارجة العامية.

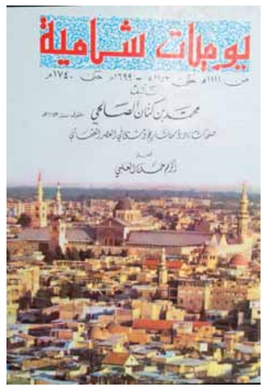

منهج المؤلف ومادته

يذكر المحقق العلبي في تقديمه: (لقد جعل المؤلف تاريخه هذا، كما يسميه، سجلاً لما يراه ويسمعه ويقرؤه أو يقرأ له، فجمع الغث والسمين، والصالح والطالح، وما زاد الأمر تعقيداً أنه كان يكتب بلغة الأديب العامي أو العامي المتأدب، بعبارات سقيمة مطولة وعقيمة، حتى إننا كنا نضطر أحياناً إلى شرح بعض العبارات وبيان المقصود منها.

١- اعتماد المؤلف على التسجيل لما يسمع أو يقرأ أو يصل إليه، وهذا المنهج يدوّن كل ما انتهى إلى المؤلف وسمعه وبصره، وليس ما انتهى إليه علمه.

٢- لم يعتمد على المنهج العلمي في الانتقاء والتخيّر، بل جمع كل ما عرض له، فكان برأي المحقق الغث والسمين، وهذا يدفع إلى محاولة معرفة ما الغث وما السمين.

٣- اللغة والتصنيف.. الجمع جعل المؤلف يقدم لغة حاول المحقق أن يصفها بين الأدب العامي وعامية الأدب، ما جعلها سقيمة وعقيمة ومطولة، والإغراق في العامية والمحلية جعل الكلام بحاجة إلى شرح ليس لصعوبتها، بل لمحلية كلماتها.

وعن قيمة المخطوط التاريخية يقول المحقق: «لاشك أن هذا المخطوط، على علاته الكثيرة، يعدّ أوسع وأفضل مصدر تاريخي عن دمشق، في النصف الأول من القرن الثاني عشر الهجري، عُرف حتى اليوم، ذلك أن مؤلفه كان معاصراً للأحداث التي يدونها، أي إنه كان شاهد عيان لما يكتب، فقد كان في السابعة والثلاثين يوم بدأ كتابه، واستمر معه سنوات عمره الباقية، يوماً بيوم، وشهراً بشهر، حتى سقط القلم من يده سنة ١١٥٣ هـ وقد ناهز الثمانين.

وعلى الرغم من الانتقادات التي وجهها المحقق الراحل، والعلات الكثيرة التي وجدها، وهو على حق فيها، إلا أن هذا الكتاب يمثل وثيقة تاريخية يومية من عدة جوانب:

١- ابتعاده عن التصنيف العلمي العالي، وهو العالم المشارك، فذاك التصنيف يتوجه إلى شريحة محددة من القراء، من حيث التأليف أو الاستهداف.

٢- تسجيل اليوميات التي لا تلتفت إليها كتب التاريخ عادة، وهذه اليوميات قد تلتقط أشياء مهمة جداً لا يلتفت إليها المؤلفون الجالسون في صوامعهم.

٣- تدوين اللغة الدارجة آنذاك بين العامة ما يساعد الباحثين والدارسين على دراسات لغوية غاية في القيمة والأهمية، تسهم في دراسة التطور واللهجات والألفاظ الخاصة.

٤- التفات الكاتب إلى الحياة الاجتماعية (الأسواق، الحمامات، المدارس، العادات والتقاليد) وهذا يعطي صورة عن البيئة الاجتماعية بصورة صادقة، ويساعد في دراسات اجتماعية واقتصادية عن تلك المرحلة التي لا نجد سوى التمجيد أو الطعن فيها..

٥- إيلاء البيوت الدمشقية عناية، ومنها ما يزال قائماً، ومنها ما صار بائداً، وهذا يساعد في تكوين صورة عن البيئة الدمشقية وخصائص عمارتها في ذلك الوقت.

٦- يسقط الضوء على الجوامع الموجودة والمحدثة والخانات، وهذا يعطي صورة عن الحركة الاجتماعية والتجارية والصوفية والدينية، ولا يفوتنا أن المؤلف يتبع إحدى هذه المدارس الصوفية.

٧- يغطي الكتاب مرحلة مهمة عن الصناعات والعادات، ويدوّن رحلة الحج الشامي، ولم يهمل قصص الفقه والغنى والاغتصاب واستغلال السلطة من الأمير منصور والي صفد الذي كان يغتصب النسوان أمام أهليهن حتى جاء إلى دمشق فلقنه أهل الميدان (الحقلة) درساً وسقوه من الكأس نفسه.

الأهمية الدرامية

لعلّ الأهمية الدرامية هي التي جعلتني أعود إلى هذا الكتاب بعد رحيل محققه صديقي أكرم العلبي قبل سنوات بعيدة، وصورة لطفه تتحرك أمامي على دراجة هوائية في شوارع دمشق، فالأهمية الكبرى التي أراها لهذا الكتاب تتمثل في أنه مع كتاب البديري الحلاق يكملان مرحلة زمنية متواصلة، وبنهجه ومحتواه يمكن أن يمثل منهلاً مهماً للدراما السورية التي تتناول البيئة الشامية، فمن خلالها يمكن أن يتم تصوير الأمور على حقيقتها، وبدقائق الحوارات والأفكار، وتفاصيل الحارات والإكسسوارات، بل الأغنيات والأهازيج.

هذا الكتاب على علاته يمثل أباً روحياً لدراما البيئة الشامية، ويبعدها عن الاختلاق ومخالفة الحقائق والوقائع، فالعادات والأواني واللباس وكل ما يتعلق به موجود في هذا الكتاب، ويمكن أن يتم الاسترشاد به لتلافي أي نقص أو خطأ، كأن نستعمل لفظاً وهو لم يكن في تلك الفترة، أو أن نختار لباساً ليس لها، أو أن نضع أنية كانت مستهجنة وغير موجودة.

(الحوادث اليومية من تاريخ أحد عشر وألف ومية) أو يوميات شامية كما اختار الناشر أو المحقق استفادة من شهرة مسلسل (أيام شامية) للراحل بسام الملا في الفترة نفسها لصدور الكتاب، والمسلسل عن كتابة القدير أكرم شريم، وهو أهم الأعمال وواسطة عقدها.. هذا الكتاب يمثل كنزاً شعبياً في الأدب الشعبي والتراث الشعبي قلّ أن نجد مثيلاً له، ويجدر بنا أن نضعه في مكانته لدراسة الحياة الشامية وتطورها.

محمل الحج الشامي

حي الصالحية قديماً